الفصل الثالث:

الحب فى حياته

فلسفته فى الحب

نشأ شاعرنا محباً صبّاً يعشق الحسن، ويهفو للجمال، ويستلهم من الصدّ أضعاف ما يستلهمه من الوصل، وتنبع فلسفته فى الحب من أنه ينكر الحب الحسى ويرى أنه بداية النهاية لعاطفة الحب الصادقة النبيلة.

ويقول شاعرنا فى ذلك قولاً فريداً.. فهو يتساءل:

«لو شاء الله لخلق الناس جميعاً عشاقاً، ولكنه اصطفى منهم قلة هم العشاق» ويرى أن المرأة تفضل العاطفة التى فيها عزة وكرامة من الرجل:

«المرأة أياً كانت.. وفى جميع المجتمعات..

تفضل الرجل العزيز النفس مهما أظهرت عكس ذلك»[1].

ولكن ما فلسفة شاعرنا فى الحب؟

وهل شعره نتاج تجارب عاطفية عاناها ومر بها؟

يجيب شاعرنا على هذه الأسئلة بقوله:[2]

- لا أجد مفراً من الاعتراف بأن ما أنظمه من شعر أو أغانٍ إنما هو نتاج تمازج روحى بين من اتخذها موديلاً أو وحياً لشعرى وبين عواطفى ولا يلبث هذا

(١) مجلة الإذاعة/ ١٩ ديسمبر ١٩٥٩

(٢) من رسالة لى من الأستاذ أحمد عبدالمجيد/ ١١ يناير ١٩٧٠

التمازج أن يبعث فى نفسى أحاسيس علوية بعيدة عما يحسه الرجل نحو المرأة.

- فأنا فى نظرتى إلى المرأة أجد أنها أصل هذا الوجود وأنها أم كل هذه الأحياء التى تضطرب فى سعيها فى الحياة وأنها صاحبة أعظم رسالة وهدف للإبقاء على الحياة..
- ومن هذا التصور أجدنى مدفوعاً إلى تقديرها قبل حبها وألقانى سعيداً بها كلما ازداد شعورى من وحيها بقدرها عندى..
- وما أن ألمس منها هواناً لشأنها أو تبذلاً أو ضعفاً نحوى، حتى انتحل المعاذير لنفسى فى تركها بعد أن أكون قد رأيت فيها أنثى أخرى غير التى أمجدها وأكبرها.
- «كان هذا وما يزال شأنى فى تعلقى بالمرأة وأنا أميل إلى المعاناة فى حبها كما أميل إلى الكشف عما بها من جمال روحى لا يبين لكل عين بل يتعالى ولا يتكشف إلا لمن منحه الله دقة ورقة فى الذوق وقدرة على الكشف عن الجمال الروحى فى أعلى مراتبه».

فشاعرنا يرى أن المرأة أصل هذا الوجود..

حـــواء يـــا أصـــل الـوجـود　　تـعـطـفـى أنـــا آدم

وشاعرنا طاهر عفيف يحب المرأة ليستلهم منها وحيه وإلهامه بعد أن يتعذب فى حبها شأنه شأن الرومانسيين:

فـــهـــواى عـــفّ طـاهـر　　وهـــواك وحـــى مُـلـهـم

ويرى أن الشعر هو الخالد والجمال مجرد إلهام ووحى:

هبينى سبيل النظم فيك طالما　　سموت على سحر الخرائد بالشعر

فكل جمال يزدهى ثم ينتهى　　ونظمى فيك الشعر يبقى على الدهر

وأحمد عبدالمجيد شاعر عاشق مشرك فى الحب، فهو ينتقل من روض إلى روض ومن هوى إلى هوى!!.

ولم يشرك فى الحب بملهمتين فى وقت واحد. بل لقد كان كالمثال والمصور الذى يتخذ نموذجاً بشرياً ينقل عنه المفاتن الروحية التى لا تبين لعاشق الجسد، بل لعابد الروح، وكان إذا انتهى من نموذجه واستخرج منه كل مفاتن الروح ومحاسن الشخصية وشفافية الإلهام، تركه إلى غيره، لا غدراً ولا مللاً ولكن على تفاهم وتقدير من الملهم للمثال، وعلى حنان ورعاية من المصور لباعث الوحى.

وقد كان لذلك الشرك فى الحب أثر كبير فى إلهاب أحاسيسه وإضرام عواطفه، وكان لذلك أثر عميق فى أن شاعر الحب والجمال قد عرف الحب وسبر أغواره فأصبح لا يرضى بالحب العادى والمرأة الباردة الخامدة. بل هو يسعى إلى المرأة التى توحى إليه وتثير فيه معانى الالهام والصور الجديدة.

وشعره يكشف لنا عن نفسية مضيئة مشرقة، تفهم الحب فهماً دقيقاً، وتصوره تصويراً قل ان يتاح إلا لمحب عركه الحب، ولمس أعماقه، ومس شغاف قلبه!..

وقد مر شاعر الحب والجمال بعدة تجارب عاطفية خصبة صورها فى شعره بأمانة وصدق.. ومن أظهر خصائص شاعرنا العاشق أنه يعتز بذاته وكرامته ويضع كرامته قبل كل شىء فلم نره فى شعره خاضعاً متذللاً لربة هواه مما يجعله من أصدق الشعراء العشاق الذين يعرفون للحب مكانته وقداسته ومن أعفّهم نفساً صانت له كرامته، فهو يقول فى قصيدة «هيهات»:[1]

هيهات رجعة ما طوته يداك ... من طيّع القلب الـذى لبّاك
لبّاك لما نازعته إلى الهوى ... عيناك وهـى مطاعة عيناك

(١) همسات/ ص٨٢

ثم يقول:

تترددين! وقد قرأت خواطرى ... وسمعت همس القلب حين رآك
تترددين! وأين تغدو صبوتى ... وأنا الذى أيقظت فيك سناك
ونهلت من روحى وراقك منهلى ... فشدوت فى روض بلحن مناك
حتى إذا آنست طيب مودتى ... وعثار روحى فى شباك هواك
وتلهفّى ان صد طيفك فى الكرى ... وخفوق قلبى عند وقع خطاك
منّيتنى فـإذا الحيـاة هنية ... وهنيتنى فـإذا الهناء رضاك
ثم انثنيت تبدّين هناءتى ... ولكم أطـال هناءتى مرآك

ثم يقول فى اعتزاز بنفسه وذاته:

قد غرّك العطف المقيم بناظرى ... وترفّقى لما جفوت زهاك
وظننت أنى أستبيح كرامتى ... وأصون عهداً ذلّنى وهناك
عهدى على الألم الأبّى قد انطوى ... لأصون عزّة ما طوته يداك